" إن نحن إلا بشر مثلكم " تسليم لقولهم وأنهم بشر مثلهم لعنون أنهم مثلهم في البشرية وحدها فأما ما وراء ذلك فما كانوا مثلهم ولكنهم لم يذكروا فضلهم تواضعا منهم واقتصروا على قولهم " ولكن ا يمن على من يشاء من عباده " بالنبوة لأنه قد علم أنه لا يختصهم بتلك الكرامة إلا وهم أهل لاختصاصهم بها لخصائص فيهم قد استأثروا بها على أبناء جنسهم " إلا بإذن ا " أرادوا أن الإتيان بالآية التي اقترحتموها ليس إلينا ولا في استطاعتنا وما هو إلا أمر يتعلق بمشيئة ا " وعلى ا فليتوكل المؤمنون " أمر منهم للمؤمنين كافة بالتوكل وقصدوا به أنفسهم قصدا أوليا وأمروها به كأنهم قالوا : ومن حقنا أن نتوكل على ا في الصبر على معاندتكم ومعاداتكم وما يجري علينا منكم . ألا ترى إلى قوله : " وما لنا أن لا نتوكل على ا " ومعناه : وأي عذر لنا في أن لا نتوكل عليه " وقد هدانا " وقد فعل بنا ما يوجب توكلنا عليه وهو التوفيق لهداية كل واحد منا سبيله الذي يجب عليه سلوكه في الدين فإن قلت : كيف كرر الأمر بالتوكل ؟ قلت : الأول لاستحداث التوكل وقوله : " فليتوكل المتوكلون " معناه فليثبت المتوكلون على ما استحدثوا من توكلهم وقصدهم إلى أنفسهم على ما تقدم .

" وقال الذين كفروا لرسلهم لنخرجنكم من أرضنا أو لتعودن في ملتنا فأوحى إليهم ربهم لنهلكن الظالمين ولنسكننكم الأرض من بعدهم ذلك لمن خاف مقامي وخاف وعيد " .

" لنخرجنكم " " أو لتعودن " ليكونن أحد الأمرين لا محالة إما إخراجكم وإما عودكم حالفين على ذلك . فإن قلت : كأنهم كانوا على ملتهم حتى يعودوا فيها . قلت : معاذ ا ولكن العود بمعنى الصيرورة وهو كثير في كلام العرب كثرة فاشية لا تكاد تسمعهم يستعملون صار ولكن عاد ما عدت أراه عاد لا يكلمني ما عاد لفلان مال . أو خاطبوا به كل رسول ومن آمن به فغلبوا في الخطاب الجماعة على الواحد " لنهلكن الظالمين " حكاية تقتضي إضمار القول أو إجراء الإيحاء مجرى القول لأنه ضرب منه . وقرأ أبو حيوة : ليهلكن وليسكننكم بالياء اعتبارا لأوحى وأن لفظه لفظ الغيبة ونحوه قولك : أقسم زيد ليخرجن ولأخرجن . والمراد بالأرض . أرض الظالمين وديارهم ونحوه " وأورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الأرض ومغاربها " الأعراف : 127 ، " وأورثكم أرضهم وديارهم " الأحزاب : 27 ، . وعن النبي A : " من آذى جاره ورثه ا داره " . ولقد عاينت هذا في مدة قريبة : كان لي خال يظلمه عظيم القرية التي أنا منها ويؤذيني فيه فمات ذلك العظيم وملكني ا ضيعته فنظرت يوما إلى أبناء خالي يترددون فيها ويدخلون في دورها ويخرجون ويأمرون وينهون فذكرت قول رسول ا A

وحدثتهم به وسجدنا شكرا " ذلك " إشارة إلى ما قضى به ا من إهلاك الظالمين وإسكان المؤمنين ديارهم أي ذلك الأمر حق " لمن خاف مقامي " موقفي وهو موقف الحساب لأنه موقف ا الذي يقف فيه عباده يوم القيامة أو على إقحام المقام . وقيل : خاف قيامي عليه وحفظي لأعماله . والمعنى إن ذلك حق للمتقين كقوله : " والعاقبة للمتقين " الأعراف : 128 .

" واستفتحوا وخاب كل جبار عنيد ومن ورائه جهنم ويسقى من ماء صديد يتجرعه ولا يكاد يسيغه ويأتيه الموت من كل مكان وما هو بميت ومن ورائه عذاب غليظ " .

" واستفتحوا " واستنصروا ا على أعدائهم " إن تستفتحوا فقد جاءكم الفتح " الأنفال : 19 ، أو استحكموا ا وسألوه القضاء بينهم من الفتاحة وهي الحكومة كقوله تعالى : " ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق " الأعراف : 89 ، وهو معطوف على " أوحي إليهم وقرئ : واستفتحوا بلفظ الأمر . وعطفه على " لتهلكن " أي : أوحى إليهم ربهم قال لهم لنهلكن وقال لهم استفتحوا " وخاب كل جبار عنيد " معناه فنصروا وظفروا وأفلحوا وخاب كل جبار عنيد وهم قومهم . وقيل : واستفتح الكفار على الرسل ظنا منهم بأنهم على الحق والرسل على الباطل وخاب كل جبار عنيد منهم ولم يفلح باستفتاحه " من ورائه " من بين يديه . قال : .

عسى الكرب الذي أمسيت فيه ... يكون وراءه فرج قريب